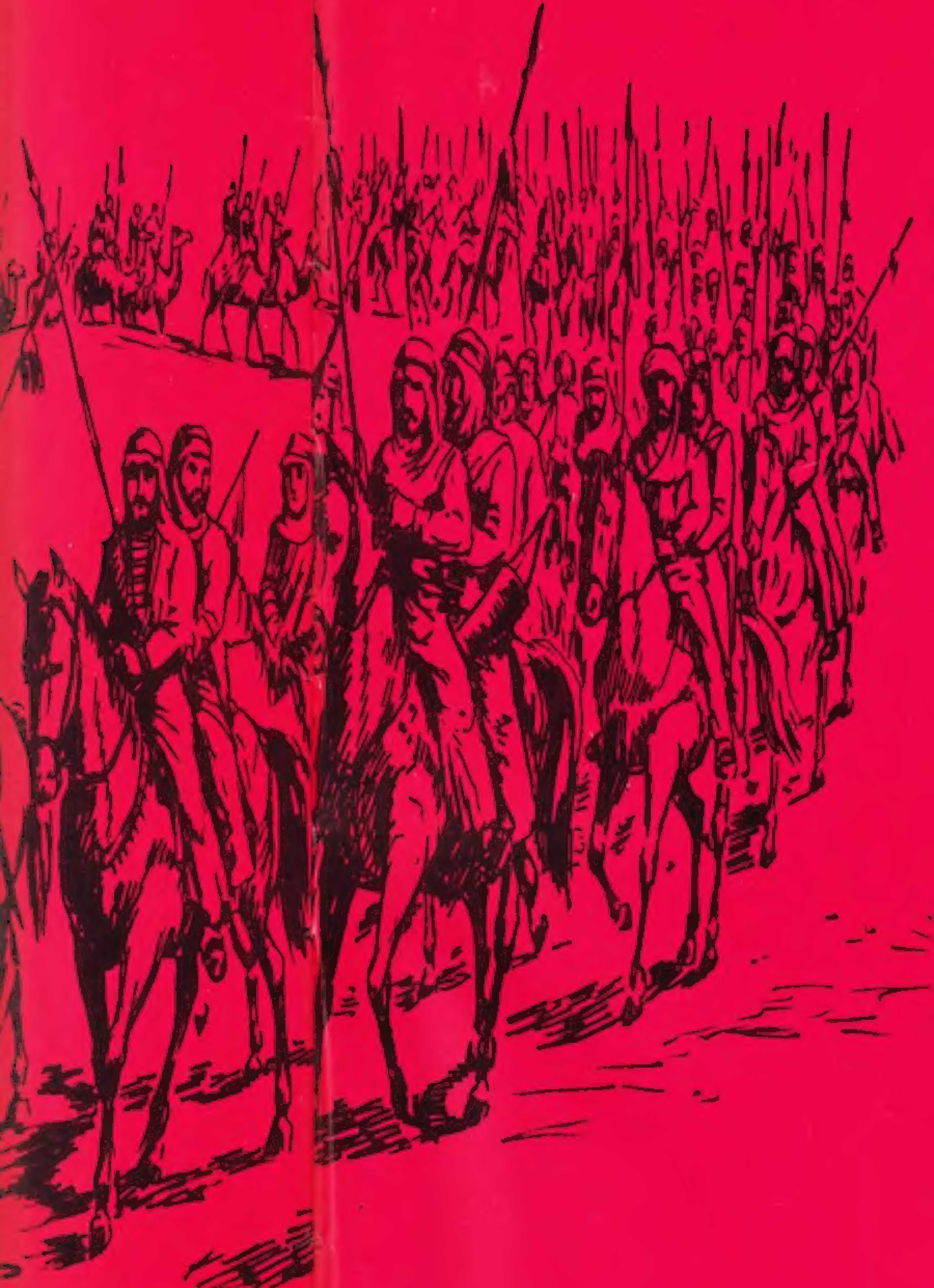
انتصارات العرب



معركة ذات السلاسل







انتصارات العرب

- ٦ -

معركة ذات السلاسل

دار المسيرة

بيروت

إعـداد
لجنة من المربّين

الطبعة الأولى ١٩٧٧
الطبعة الثانية ١٩٧٩
الطبعة الثالثة ١٩٨١

بسم الله الرحمن الرحيم

« مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً » .

صدق الله العظيم .

« أَيُّها النَّاسُ . كُلُّ مُسْلمٍ أَخٌ لِلمُسْلِمِ . وإنَّ المُسْلمينَ إِخْوَةٌ فَلَا يَحِلُّ لإمْرِيءٍ مِنْ أَخيهِ إلَّا مَا أَعْطَاهُ عَنْ طِيبِ نَفْسٍ مِنْهُ ، فَلَا تَظْلُمنَّ أَنْفُسَكُمْ .

مِنْ « خُطْبَةِ الْوَدَاعِ »

تَوْطِئَةٌ

عَادَ الرَّسُولُ (ﷺ) بِجَيْشِهِ مِنْ (تبوك) وَهُوَ أَكْثَرُ إِطْمِئْنَاناً عَلَى أَمْنِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، بَعْدَ أَنْ عَقَدَ المَعَاهَدَاتِ مع قَبَائِلَ النَّصَارَى الخَاضِعَةِ لِسَيْطَرَةِ الرُّومِ في شِمَالِ الْجَزِيرَةِ .

وَبِذَلِكَ ، انْتَصَرَ الإِسْلَامُ في الْخَارِجِ ، كَمَا انْتَصَرَ في دَاخِلِ شِبْهِ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ ، وَلَمْ يَبْقَ في الْوَاقِعِ سِوَى قَبَائِل مُتَفَرِّقَةٍ لَمْ تَدْخُلْ بَعْدُ في الدِّينِ الْحَنِيفِ .

وَلَكِنْ عِنْدَمَا رَأَى رِجَالَاتُ تِلْكَ الْقَبَائِلِ مَكَّةَ - التي نَاصَبَتْ الرَّسُولَ العِدَاءَ - قَدْ دَخَلَتْ في الإِسْلَامِ وَفَتَحَتْ أَبْوَابَهَا مُشَرَّعَةً أَمَامَ جَيْشِهِ ، أَدْرَكَتْ أَنَّ لَا طَاقَةَ لَهَا في حَرْبِ المسْلِمِينَ وَأَنَّهُ لَا بُدَّ لَهَا مِنَ الدُّخُولِ في حِمَاه وَتَحْتَ ظِلَالِهِ .

فَأَخَذَتِ الْقَبَائِلُ تَفِدُ عَلَى الرَّسُولِ فِي الْمَدِينَةِ لِتُقَدِّمَ الوَلَاءَ والطَّاعَةَ ، ثُمَّ تدخلُ في الإسْلَامِ ، وَهَكَذَا تَتَالَتِ الْوُفُودُ الْعَرَبِيَّةُ مِنْ كُلِّ حَدْبٍ وَصَوْبٍ أَفْوَاجاً .

فَأَسْلَمَ بَنُو ثَقِيفٍ ، وَبَنُو أَسَدٍ ، وَبَنُو تَمِيمٍ ، والْيمَن وَمَا حَوْلَهَا .

وَغَدَا الدِّينُ الْإِسْلَامِيُّ مَرْهُوبَ الْجَانِبِ ، مِنْ قِبَلِ الدَّانِي وَالْقَاصِي .

وَفِي السَّنَةِ العَاشِرَةِ لِلْهِجْرَةِ (آذار ٦٣٢م) دَعَا رَسُولُ اللهِ (ﷺ) إلى حَجٍ كَبِيرٍ إِلَى مَكَّةَ ، وَخَطَبَ هُنَاكَ خُطْبَةً مَشْهُورَةً سُمِّيَتْ (خُطْبَةُ الوَدَاعِ) وَسُمِّيَ ذَاكَ الْحَجُّ (حِجَّةَ الوَدَاعِ) لِأَنَّها آخِرُ حِجَّةٍ حَجَّها الرَّسُولُ (ﷺ) . وَفِي السَّنَةِ الْحَادِيَةِ عَشْرَةِ (أيار ٦٣٢م) مَرِضَ الرَّسُولُ ، ثُمَّ مَا لَبِثَ أَنْ تُوُفِّيَ في الثَّاني عَشَرَ مِنْ ربيعٍ الأوَّلِ مِنْ سَنَةِ ١١ لِلْهِجْرَةِ (٨ حزيران ٦٣٢م) فَخَلَفَهُ ـ أَبُو بَكْرٍ عبدُ اللهِ بنِ أَبِي قُحَافة ـ صَدِيقُ الرَّسُولِ مِنْ قَبْلِ الإِسْلَامِ ، وَمِنْ أَوَائِلِ الَّذِينَ دَخَلُوا في الإِسْلَامِ .

وَهُوَ بَعْدَ ذَلِكَ عَالِي الْمَكَانَةِ فِي قَوْمِهِ ، مَعَ لِينِ الْعَرِيكَةِ - أي لِينُ الخُلُقِ - وَحَسَنَ الْحَدِيثِ وَالتَّقْوَى .

كَانَ أَوَّلُ مَا فعلَهُ - أَبُو بَكْرٍ - (رضي اللهُ عَنْهُ) أَنْ أَرْسَلَ جَيْشاً كَانَ قَدْ أَعَدَّهُ الرَّسُولُ (ﷺ) قَبْلَ وَفَاتِهِ لِقِتَالِ الرُّومِ فِي الشَّامِ ، بَعْدَ أَنْ عَادَ خَطَرُهُمْ للإسْتِفْحَالِ . ثُمَّ كَانَ عَلَى - أَبِي بَكْرٍ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) - مُوَاجَهَةُ ، الَّذِينَ « إِرْتَدُّوا » بَعْدَ وَفَاةِ الرَّسُولِ (ﷺ) ، بِيَدٍ مِنْ حَدِيدٍ تُعِيدُ مَنْ تُسَوِّلُهُ نَفْسُهُ الْعَبَثَ بالإسْلاَمِ وَالْخُرُوجِ عَنْ طَاعَةِ نَبِيِّهِ إِلَى الطَّرِيقِ الْقَوِيمِ . فَاجْتَمَعَ أَبُو بَكْرٍ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) بِكِبَارِ الصَّحَابَةِ لِيَسْتَشِيرَهُم فِي الْأَمْرِ ، فَقَرَّرَأْيِ أَبِي بَكْرٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - رُغْمَ مُعَارَضَةِ الْبَعْضِ ، عَلَى قِتَالِ الْمرتَدِّينَ ، وَتَلْقِينِهِمْ دَرْساً بِالْوَفَاءِ وَالْحِفَاظِ عَلَى الْعُهُودِ .

فَكَانَ قَرَارُهُ ذَاكَ خَيْراً عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْمُسلِمِينَ ، ظَهَرَتْ آثَارُهُ بَعْدَ الْإِنْتِصَارَاتِ الْمُتَعَدِّدَةِ الَّتِي أَحْرَزَهَا الْمُسْلِمُونَ عَلَى الْمُرْتَدِّينَ .

وَجَّهَ أَبُو بَكْرٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - جَيْشاً مِنَ الْمَدِينَةِ

بِقِيَادَةِ خَالِدٍ بنِ الوليدِ لِقِتَالِ (طُلَيْحَةَ) وَمَنْ بَايَعَهُ وَوَالاهُ في ٱلْخُرُوجِ عَلَى سُلْطَةِ الدَّوْلَةِ ٱلإِسْلَامِيَّةِ .

وَكَانَ النَّصْرُ حَلِيفَ خَالِدٍ بنِ الوليدِ . فَفَرَّقَ جُمُوعَ الْمُرتَدِّينَ . وَانْهَزَمُوا هَزِيمَةً مُنْكَرَةً . وفَرَّ (طُلَيْحَةُ) إلى الشَّامِ .

ثُمَّ وَجَّهَ أَبُو بَكْرٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ جَيْشاً آخرَ بِقِيَادَةِ (عِكْرِمَةَ بنِ أَبي جَهْلٍ) لِقِتَالِ (مُسَيْلمَة) الكَذَّابِ صَاحِبِ (اليَمامَةَ) . وَأَرْسلَ في إِثْرِهِ (شُرَحْبيل بنَ حسَنَة) لِيَكُونَ لَهُ عَوْناً ومددا في حَرْبِهِ ضِدَّ (مُسَيْلَمَةَ) فَانْهَزَمَ (عِكرمَة) . فَمَا كَانَ مِنْ أَبي بكْرٍ ـ رضي اللهُ عَنهُ ـ إِلَّا أَنْ أَرْسَلَ لَهُ خَالِداً عَلَى رَأْسِ جَيْشٍ كَبِيرٍ . اسْتَطَاعَ بِهِ إِلْحَاقَ هَزِيمَةٍ مُنْكَرَة بِبَنِي (حَنِيفَةَ) مُرْتَدِّي (اليَمامة) رُغْمَ تحْصِينَاتِهِم ٱلْجبليَّةِ ٱلصَّعْبَةِ . وَتَمَرُّسِهِم بِفُنُونِ الْقِتَالِ . إِنْهَزَمُوا . وَقُتِلَ (مُسَيْلَمَة) وَمَنْ شَايَعه شَرَّ قِتْلَة .

وَمَا كَادَ خَالِدٌ يَنْتَهِي مِنْ قَمْعِ رِدَّةِ أَهْلِ (اليَمامَة) . حَتَّى تَلَقَّى مِنَ الْخَلِيفَةِ أَمْراً بالذَّهابِ إِلَى الْبَحْرَيْنِ .



لِمُسَاعَدَة (العَلَاءِ الحَضْرَمِيّ) عَلَى قَمْعِ الْفِتْنَةِ فِيهَا .

وَقَدْ خَاضَ جَيْشُ الْمُسْلِمِينَ حُرُوباً طَاحِنَةً . ضِدَّ أُولَئِكَ « الْمُرتَدِّينَ » وَانْتَصَرُوا عَلَيْهِمْ جَمِيعاً . وَكَيْفَ لا !! وَقَدْ تَسَلَّمَ قِيَادَةَ الْجَيْشِ قُوَّادٌ عِظَامٌ إِشْتَهَرُوا بِالْبُطُولَةِ وَالْفُرُوسِيَّةِ وَالْفِدَاءِ . أَمْثَال : ـ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ . وَالْمُثَنَّى بنُ حَارِثَة . وَشُرَحْبِيل بنُ حَسَنَة . وَغَيْرُهُمْ كَثِيرٌ مِنَ الْقُوَّادِ الْمَيَامِينِ الَّذِينَ سَطَّرُوا بِدِمَائِهِمْ أَرْوَعَ انْتِصَارَاتِ الْعَرَبِ عَلَى مَرِّ الْعُصُورِ .

وَلَمَّا عَادَتِ الْأُمُورُ إِلَى نِصَابِهَا . بِعَوْدَةِ الْمُرْتَدِّينَ إِلَى الطَّاعَةِ . وَالطَّرِيقِ السَّوِيّ . وَاسْتَطَاعَ أَبُو بَكْرٍ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) بِتَأْيِيدِ اللهِ تَعَالَى وَبِمُؤَازَرَةِ الْمُسْلِمِينَ لَهُ أَنْ يَقْضِيَ عَلَى الْفِتْنَةِ فَتَعُودُ قَبَائِلُ الْعَرَبِ الْمُرتَدَّةِ إِلَى حَظِيرَةِ الإِسْلَامِ الآمِنَةِ . فَكَّرَ الْمُثَنَّى بنُ حَارِثَة أَنْ يَسِيرَ بِمَنْ مَعَهُ لِقِتَالِ قَبَائِلِ الْعَرَبِ الَّتِي كَانَتْ تَعِيشُ عَلَى حُدُودِ شِبْهِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ ؛ فِي نَوَاحِي الْعِرَاقِ ، وَالَّتِي مَا زَالَتْ تُشَكِّلُ خَطَراً عَلَى الدِّينِ وَالدَّوْلَةِ .

وَلِقِلَّةِ عَدَدِ أَفْرَادِ جَيْشِ الْمُثَنَّى ، وَخَوْفِ ـ أَبِي

بَكْرٍ ـ مِنْ أَنْ تُصِيبَهُمُ الْهَزِيمَةُ . أَرْسَلَ لَهُ نَجْدَةً قِوَامُهَا عَشْرَةُ آلافِ رَجُلٍ بِقِيَادَةِ خَالِد بنِ الوَلِيدِ .

وَهُنَاكَ عَلَى حُدُودِ شِبْهِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ . وَقَفَ الفرسُ لِقِتَالِ الْعَرَبِ . وَسَاعَدَهُمْ فِي ذَلِكَ بَعْضُ الْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ الْخَاضِعَةِ لِسُلْطَانِهِمْ .

وَمِنْ تِلْكَ الْمَعَارِكِ . مَعْرَكَةٌ كَانَتْ لَهَا الشُّهْرَةُ . هِيَ « ذَاتُ السَّلاسِلِ »

أَمَّا سَبَبُ تَسْمِيَتِهَا بِهَذَا الإِسْمِ . فَعَائِدٌ إِلَى أَنَّ (هرمزاً) قَائِدَ الْفُرْس رَبَطَ جُنُودَهُ بِسَلاسِلَ مِنْ حَدِيدٍ جَمَاعَاتٍ جَمَاعَاتٍ حَتَّى لَا يَفِرُّوا مِنْ أَرْضِ الْمَعْرَكَةِ . وَلِكَي يَثْبُتُوا فِي قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ . وَلَا يَهْرُبُ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِذَا أَرَادَ .

وَكَأَنَّ الأَمْسَ هُوَ الْيَوْمُ . فَنَتَذَكَّرُ مَوْقِفَ الصَّهَايِنَةِ الْجُبَنَاءِ عِنْدَمَا أَوْثَقُوا طَيَّارِيهِم بِمَقَاعِدِ الطَّائِرَاتِ أَثْنَاءَ حَرْبِ العَاشِرِ مِنْ رَمَضَانَ الْمُبَارَكِ . وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِخَوْفِهِمْ الشَّدِيد مِنْ دُخُولِ السَّمَاءِ الْعَرَبِيَّةِ . لأَنَّهُم يَعْلَمُونَ سَلَفاً إِنَّ المَوْتَ يَنْتَظِرُهُم هُنَاكَ .



رِسَالَةُ خَالِدِ بنِ الْوَلِيدِ

قُلْنَا إِنَّ أَبَا بَكْرٍ أَرْسَلَ خَالِداً لِتَعْضِيدِ جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ فِي الْعِرَاقِ وَالَّذِي كَانَ بِقِيَادَةِ الْمُثَنَّى بن حَارِثَة . وَمُنْذُ أَنْ وَصَلَ خَالِدٌ بِجَيْشِهِ إِلَى هُنَاكَ تَسلَّمَ الْقِيَادَةَ وَفَرَّقَ جُنْدَهُ ثَلَاثَ فِرَقٍ . وَضَمَّ إِلَيْهِمْ مَن اسْتَنْفَرَهُمْ مِنْ قَبَائِلِ أَهْلِ الرِّدَةِ الَّذِينَ رَجِعُوا إِلى الإِسْلَامِ .

وَقَبْلَ أَنْ يُقْدِمَ خَالِدٌ بنُ الْوَلِيدِ عَلَى أَيِّ عَمَلٍ عَسْكَرِيٍّ أَرَادَ ـ وَكَانَتْ هَذِهِ عَادَةُ الْقُوَّادِ الْمُسْلِمِينَ ـ أَنْ يَعْرُضَ عَلَى عَدُوِّهِ تَجَنُّبَ الْقِتَالِ إِنْ هُوَ أَسْلَمَ أَوْ دَخَلَ فِي عُهْدَةِ الْإِسْلَامِ وَدَفَعَ الْجِزْيَةَ . فَبَعَثَ خَالِدٌ بِكِتَابٍ إِلَى هرمز قَائِدِ جَيْشِ الْفُرْسِ يَقُولُ لَهُ فِيهِ « أَمَّا بَعْدُ . فَأَسْلِمْ تَسْلَمْ . أَوَ اعْتَقِدْ ـ أَثْبِتْ ـ لِنَفْسِكَ وَقَوْمِكَ الذِّمَةَ وَأَقْرِرْ بِالْجِزْيَةَ وَإِلَّا فَلَا تَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَكَ فَقَدْ جِئْتُكَ بِقَوْمٍ يُحِبُّونَ الْمَوْتَ كَمَا تُحِبُّونَ الْحَيَاةَ » .

وَهَكَذَا نَرَى . إِنَّ خَالِداً بنَ الوليدِ . الْقَائِدَ الْبَطَلَ .

قَدْ خَيَّرَ عَدُوَّهُ . بَيْنَ ثَلاَثَةِ عُرُوضٍ . فَإِنْ أَسْلَمَ كَانَ لَهُ مَا لِلْمُسْلِمِينَ وَعَلَيْهِ مَا عَلَيْهِم مِنْ حُقُوقٍ وَوَاجِبَاتٍ ، وَإِنْ أَبى الإِسْلاَمَ . عَلَيْهِ أَنْ يَدْخُلَ فِي ذِمَّتِهِ وَتَحْتَ سُلْطَانِهِ . وَلَهُ الحُرِّيَّةُ التَّامَةُ فِي مُمَارَسَةِ شَعَائِرِ دِينِهِ وَطُقُوسِهِ وَعَادَاتِهِ والتَّصَرُّفُ بِأَمْوَالِهِ . مَعْ دَفْعِ الْجِزْيَةِ مُقَابِلَ حِمَايَتِهِ . وَإِنْ أَبى الإِثْنَيْنِ فَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ يُعَادِي الإِسْلاَمَ وَسُلْطَانَهُ فَيَجِبُ قِتَالُهُ . وَهَذَا مَا فَعَلَهُ خَالِدٌ وَكُلُّ الْقُوَّادِ الْمُسْلِمِينَ تَيَمُّناً بِسِيرَةِ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ (ﷺ) .

رَفْضُ هرْمِز

وَتُحَدِّثُنَا الرِّوَايَاتُ الْقَدِيمَةُ ، إِنَّ هرْمِزاً رَفَضَ الْكِتَابَ ـ الرِّسَالَةَ ـ وَأَرْسَلَهُ إِلَى كِسْرَى . ثُمَّ جَمَعَ الْجُمُوعَ وَخَرَجَ لِمُلاَقَاةِ خَالِدٍ وَجَيْشِهِ .

وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ هِرْمِزاً كَانَ جَبَّاراً قَاسِياً سَيِّءَ

الطِّبَاعِ مَعَ الْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُجَاوِرَةِ . حَتَّى أَصْبَحَتْ ـ تِلْكَ الْقَبَائِلُ ـ حَانِقَةً وَحَاقِدَةً عَلَيْهِ . وَكَانَ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فَيُقَالُ : « أَكْفَر مِنْ هِرْمِز » .

هَذَا بِالْإِضَافَةِ إِلَى أَنَّهُ كَانَ مَغْرُوراً مُتَعَجْرِفاً مُعْتَدّاً بِنَفْسِهِ ، سَرِيعَ التَّصَرُّفِ بِدُونِ دِرَايَةٍ .

أَلْمَعْرَكَةُ

بَعْدَ أَنْ رَفَضَ ـ هِرْمِز ـ كِتَابَ خَالِدٍ . أَخَذَ يَعِدُّ عُدَّتَهُ لِقِتَالِ الْمُسْلِمِينَ ، بَعْدَ أَنْ جَاءَتْهُ الْأَخْبَارُ عَنْ وُصُولِهِمْ بِقِيَادَةِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ الْبَطَلِ الشُّجَاعِ ، إِلَى مِنْطَقَةٍ تُسَمَّى « الْحَفِير » . فَمَا كَانَ مِنْهُ ـ أَيْ هِرْمِز ـ إِلَّا أَنْ سَبَقَ الْمُسْلِمِينَ بِجَيْشِهِ إِلَيْهَا .

وَأَسْلَمَ ـ هِرْمِز ـ مُقَدَّمَةَ الْجَيْشِ لِـ (قُبَاذ) وَ (أَنُو شَجَان) وَ« كَانَا مِنْ أَوْلَادِ أَرْدَشِير الْأَكْبَرِ .

وَأَقْتَرَنُوا فِي السَّلاسِلِ لِئَلَّا يَفِرُّوا » كَمَا يَقُولُ ابنُ الأَثِيرِ .

وَتَنَبَّهَ خَالِدٌ . لِتلْكَ الْحُشُودِ ، فَمَا كَانَ مِنْهُ إِلَّا أَنْ مَالَ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُقَاتِلِينَ إِلَى مِنْطَقَةٍ تُدْعَى « كَاظِمَة » فَمَا كَانَ مِنْ ـ هِرمِز ـ إِلَّا أَنْ سَبقهُ إِلَيْهَا أَيْضاً .

وَيُسْتَفَادُ مِمَّا رَوَاهُ (إِبْنُ الْأَثِيرِ) انَّ خَالِداً نزِلَ عَلَى أَرْضٍ لَيْسَ فِيهَا مَاءٌ ، فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ فِي ذَلِكَ : مَا تَفْعَلُ ؟

« فَقَالَ لَهُمْ : لَعَمْرِي لَيَصِيرَنَّ المَاءُ لأَصْبر الفَرِيقَيْنِ . فَحطُّوا أَثْقَالَهُمْ ، وَتَقَدَّمَ خَالِدٌ إِلَى الْفُرْسِ فَلاقَاهُمْ ، وَأَرْسَلَ اللهُ سَحَابَةً فَأَغْدَرَتْ ـ أَيْ صَارَ فِي الْمَكَانِ غُدْرَانُ مَاءٍ ـ وَرَاءَ صَفِّ الْمُسْلِمِينَ فَقَوِيَتْ قُلُوبُهُم » .

وَالْتَقَتْ جُمُوعُ الْجَيْشَيْنِ ، فَدَعَا ـ هِرمِز ـ خَالِداً إِلَى الْمُبَارَزَةِ قَبْلَ الإِلْتِحَامِ فِي مَعْرَكَةِ الْفَصْلِ بَيْنَهُمَا ، وَأَضْمَرَ فِي نَفْسِهِ الْغَدْرَ بِخَالِدٍ حِينَ خُرُوجِهِ ، وَأَوْكَلَ تِلْكَ الْمُهِمَّةَ بِنَفَرٍ مِنْ فُرْسَانِهِ كَيْ يَكُرُّوا عَلَيْهِ وَهُوَ مَشْغُولٌ بِمُبَارَزَتِهِ فَيَقْتُلُوهُ . فَيَدبُّ الْخَوْفُ

فِي نُفُوسِ الْمُسْلِمِينَ لِمَقْتَلِ قَائِدِهِمْ . وَهُوَ الرَّأْسُ وَالْمُدَبِّرُ . فَيَفْزَعُوا وَيَفِرُّوا مُشَتَّتِينَ لَا يَلْوُونَ عَلَى شَيْءٍ . عِنْدَهَا يُطْبِقُ الْجَيْشُ الْفَارِسِيُّ عَلَى جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ . مُوقِعاً الْهَزِيمَةَ بِهِمْ .

شَرُّ هَزِيمَةٍ

خِطَّةُ الْغَدْرِ هَذِهِ . كَانَتْ سَتَمُرُّ عَلَى قَائِدٍ . غَيْرِ خَالِدِ ابْنِ الْوَلِيدِ . وَهُوَ الْقَائِدُ الْمُلْهَمُ الشُّجَاعُ . الْعَارِفُ بِمَا تُضْمِرُهُ نُفُوسُ قُوَّادِ الْفُرْسِ مِنَ الْخِسَّةِ وَالضِّعَةِ وَالْغَدْرِ .

لَقَدْ غَابَ عَنْ بَالِ ـ هِرْمِز ـ أَنَّ خَالِداً بْنَ الْوَلِيدِ كَانَ يَعْلَمُ بِمَا يُضْمِرُهُ مِنْ غَدْرٍ . عِنْدَمَا سَارَ إِلَى مُلَاقَاتِهِ رَاجِلاً . وَهُوَ يَحْمِلُ سَيْفَهُ الْبَتَّارَ الَّذِي دَحْرَجَ الْعَدِيدَ مِنَ الرُّؤُوسِ الْمَغْرُورَةِ الَّتِي أَضْمَرَتْ مِثْلَهُ الْغَدْرَ وَالْخُطَطَ الْخَسِيسَةَ .

وَالْتَقَى عَدُوُّ اللهِ ـ هِرمِز ـ بِخَالِدٍ ، وَتَضَارَبَا طَوِيلاً ، وَمَا هِيَ إِلَّا جَوْلَةٌ حَتَّى دَارَتِ الدَّائِرَةُ عَلَى ـ هِرمِز ـ فَوَقَعَ تَحْتَ وَطْأَةِ ضَرَبَاتِ ـ سَيْفِ اللهِ ـ الْقَوِيَّةِ ، مُضَرَّجاً بِدِمَائِهِ ، فَمَا كَانَ مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَّا أَنْ كَرُّوا عَلَى خَالِدٍ يُرِيدُونَ قَتْلَهُ تَنْفِيذاً لِلْخُطَّةِ الَّتِي وَضَعُوهَا مَعَ قَائِدِهِم الْمَغْرُور ـ هِرمِز ـ وَفَجْأَةً ، بَرَزَ مِنْ بَيْنِ الصُّفُوفِ (الْقَعْقَاعُ بنُ عَمْرو) وَهُوَ مِنْ أَبْطَالِ الْمُسْلِمِينَ الْمَيَامِينَ الْبَرَرَةِ ، فَحَمَلَ عَلَى أُولَئِكَ الْغَادِرِينَ مُفَوِّتاً عَلَيْهِمُ الْفُرْصَةَ ، وَكَرَّ بِجَيْشِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْفُرْسِ ، وَأَعْمَلَ بِرِقَابِهِمُ السَّيْفَ تَقْتِيلاً ، فَفَرُّوا مِنْ أَمَامِهِ كَالْقَطِيعِ الْمَذْعُورِ ، وَرُدَّتْ مَكَائِدُ الْفُرْسِ إِلَى نُحُورِهِمْ ، وَانْهَزَمُوا شَرَّ هَزِيمَةٍ ، وَتَشَتَّتُوا فِي أَرْضِ الْمَعْرَكَةِ لَا يَطْلُبُونَ شَيْئاً سِوَى النَّجَاةِ مِنْ سُيُوفِ الْحَقِّ وَالْفِدَاءِ .

وَهَكَذَا . انْتَصَرَ الْمُسْلِمُونَ فِي هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ . إِنْتِصَاراً بَاهِراً . وَكَانَتِ « ذَاتُ السَّلَاسِلِ » فَاتِحَةَ خَيْرٍ وَبُشْرَى انْتِصَارَاتٍ عَدِيدَةٍ حَقَّقَهَا الْمُسْلِمُونَ بِقِيَادَةِ رِجَالٍ آمَنُوا بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ . نَاذِرِينَ أَنْفُسَهُمْ فِدَاءً لِحِمَايَةِ الدِّينِ الإِسْلَامِيِّ مِنْ كُلِّ طَارِىءٍ يُحَاوِلُ النَّيْلَ مِنْ عِزَّتِهِ وَكَرَامَتِهِ . وَيُهَدِّدُ أَمْنَ وَاسْتِقْرَارَ دَوْلَتِهِ .

إِنْهَزَمَ الْفُرْسُ . وَغَنِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْهُم غَنَائِمَ ثَمِينَةً . رَوَى عَنْهَا (الطبري) إِنَّ « سَهْمَ الْفَارِسِ مِنْ غَنَائِمِ ذَاتِ السَّلَاسِلِ بَلَغَ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَالرَّاجِلِ ثُلْثَ ذَلِكَ وَانَّ خَالِداً غَنِمَ قَلَنْسُوَةَ ـ هرمز ـ الَّتِي كَانَتْ قِيمَتُهَا مِئَةَ أَلْفٍ فَنَقَلَهَا أَبُو بَكْرٍ لَهُ وَكَانَتْ مُفَصَّصَةً بِالْجَوْهَرِ ...

الْمُهِمُّ هُنَا لَيْسَ الْغَنَائِمُ . الأَهَمُّ هُوَ الانْتِصَارَاتُ الَّتِي حَقَّقَهَا الْمُسْلِمُونَ بَعْدَ هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ وَالَّتِي دَانَتْ ـ بَعْدَهَا ـ الْعِرَاقُ لِلْحُكْمِ الإِسْلَامِيِّ .

وَتَرْوِي الرِّوَايَاتُ الْقَدِيمَةُ . إِنَّ الْوَقَائِعَ وَالإِشْتِبَاكَاتِ أَخَذَتْ تَتَوَالَى بَيْنَ الْفُرْسِ وَالْمُسْلِمِينَ .

وَانَّه بَعْدَ انْتِصَارِ الْمُسْلِمِينَ فِي « ذَاتِ السَّلاسِلِ » أَوْكَلَ خَالِدُ بْنُ الوليدِ مُهِمَّةَ مُطَارَدَةِ فُلُولِ الْمُنْهَزِمِينَ الْفُرْسِ إِلى الْقَائِدِ الْعَظِيمِ « الْمُثَنَّى بن الْحَارِثَة » لِلْقَضَاءِ عَلَيْهِمْ . قَبْلَ أَنْ يُنَظِّمُوا صُفُوفَهُمْ مِنْ جَدِيد وَيُعَاوِدُوا الْقِتَال . فَلَحِقَ (الْمُثَنَّى) بِفُلُولِ الْفُرْسِ الفَارَّةِ نَحْوَ الْمَدَائِنِ . فَمَرَّ بِطَرِيقِهِ عَلَى حِصْنٍ يُدْعَى « حِصْنُ الْمَرأَةِ » تُقِيمُ فِيهِ ـ كَمَا رَوَى الْمُؤَرخُونَ ـ أَمِيرَةٌ فَارِسِيَّةٌ . فَحَاصَرَهُ (الْمُثَنَّى) مُدَّة . ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْه خَوْفاً مِنِ انْشِغَالِهِ بِهِ . ثُمَّ تَقَدَّمَ فِي طَرِيقِهِ . فَصَادَفَهُ حِصْنٌ آخرُ . كَانَ يُقِيمُ فِيهِ زَوْجُ الأَمِيرَةِ . فَاقْتَحَمَهُ وَقَضَى عَلَى مَنْ فِيهِ . وَلَمَّا عَلِمَتِ الأَمِيرَةُ بِذَلِكَ . طَلَبَتِ الصُّلْحَ . ثُمَّ أَعْلَنَتْ إِسْلامَهَا وَتَزَوَّجَها (الْمَعَنَى أَخُ (الْمُثَنَّى) .وَوَقَعَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ مَعَارِكُ عَدِيدَةٌ كَانَ النَّصْرُ فِيهَا حَلِيفَ الْمُسْلِمِينَ .

فَمِنْ وَقْعَةِ (أَلِيس) حَيْثُ انْهَزَمَ فِيهَا (جابَان)



قَائِدُ الْفُرْسِ هَزِيمَةً مُنْكَرَةً . إِلَى وَقْعَةِ (الْمَذَارِ) . حَيْثُ حَاوَلَ (قَارَان) مَا حَاوَلَهُ قَبْلَهُ (هُرمز) مِنْ غَدْرٍ وَخِيانَةٍ . إِلَى مَوْقَعَة (بَابِلِ) الَّتِي تُعْتَبَرُ مِنَ الْمَعَارِكِ الْفَاصِلَةِ الَّتِي قَضَى فِيهَا الْمُسْلِمُونَ عَلَى غُرُورِ الْفُرْسِ وَادِّعَاءِ قُوَّادِهِمْ بِالْغَلَبَةِ وَالنَّصْرِ الدَّائِمَيْن . فَاسْتَوْلَوْا عَلَى عَاصِمَتِهِمْ الْمَدَائِن وَغَنِمُوا مِنْ جَرَّاءِ ذَلِكَ غَنَائِمَ كَثِيرَةً أُرْسِلَتْ إِلَى الْخَلِيفَةِ فِي الْمَدِينَةِ ..

إِلَى مَعْرَكَةِ (الْأَنْبَارِ) فِي نَاحِيَةِ الْغَرْبِ الشَّمَالِي مِنَ الْعِرَاقِ الْعَرَبِيِّ .

فَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ الْمَدِينَةُ تَخْضَعُ لِسَيْطَرَةِ الْفُرْسِ . وَعَلَيْهَا قَائِدٌ اسْمُهُ (شِيرَاز) فَخَرَجَ خَالِدٌ إِلَيْهِ فَتَحَصَّنَ سُكَّانُهَا وَأَغْلَبُهُمْ مِنْ نَصَارَى الْعَرَبِ . وَحَفَرُوا خَنْدَقاً وَوَقَفُوا وَرَاءَ حُصُونِهِمْ يَتَرَقَّبُونَ وُصُولَ الْمُسْلِمِينَ . وَلَمَّا دَنَا خَالِدٌ بِجَيْشِهِ مِنْهُمْ . دَعَاهُمْ لِلصُّلْحِ وَفْقاً لِشُرُوطِهِ . فَرَفَضُوا . فَأَمَرَ بِرَمْيِهِمْ بِالنِّبَالِ وَوَصَّى الْهَدَفُ إِصَابَةَ الْعُيُونِ . وَيُرْوَى إِنَّهُ أُصِيبَ بِيَوْمٍ وَاحِدٍ (٢٠٠٠) عَيْنٍ حَتَّى سُمِّيَتِ الْوَقْعَةُ بِذَاتِ

الْعُيُونِ . فَفَزِعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ . وَقَبِلُوا الصُّلْحَ وِفْقَ شُرُوطِ خَالِدٍ .

وَتَتَابَعَتِ الْمَعَارِكُ . وَتَتَابَعَتْ هَزَائِمُ الْفُرْسِ وَاسْتَمَرَّ الْمُسْلِمُونَ يَنْتَقِلُونَ مِنْ نَصْرٍ إِلَى نَصْرٍ . حَتَّى دَانَتْ لَهُمْ بِلَادُ الْعِرَاقِ الْعَرَبِيِّ . بَعْدَ أَنْ قَضَوْا فِيهِ عَلَى سَيْطَرَةِ الْفُرْسِ وَتَحَكُّمِهِمْ بِرِقَابِ أَهْلِيهِ رَدْحاً طَوِيلاً مِنَ الزَّمَنِ .

وَتَحْتَ رَايَةِ الْإِسْلَامِ . عَاشَ أَهْلُ الْعِرَاقِ حَيَاةً مُسْتَقِرَّةً يَسُودُهَا الْأَمْنُ وَالطُّمَأْنِينَةُ وَالْمُسَاوَاةُ وَالْعَدْلُ . وَانْصَرَفَ النَّاسُ إِلَى أَرْزَاقِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ مُطْمَئِنِّينَ إِلَى حَاضِرِهِمْ وَغَدِهِمْ . مَا دَامَتْ مَقَالِيدُ الْحُكْمِ فِي أَيْدٍ كَرِيمَةٍ تَحْكُمُ بِالْعَدْلِ . وَتُعْطِي كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ .

أَسْبَابُ حُرُوبِ الْعِرَاقِ

كَانَ الْعِرَاقُ بِحُكْمِ مَوْقِعِهِ فِي شِمَالِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ يُعْتَبَرُ امْتِدَاداً لَهَا . أَوْ مَمَرّاً يَسْتَطِيعُ مِنْهُ الْفُرْسُ الْعُبُورَ



إِلَى قَلْبِ الْجزيرَةِ لِتوْجيهِ الضَّرَبَاتِ . وَتَدْبيرِ الْمُؤَامرَاتِ لِلإِيقَاعِ بِالدَّوْلَةِ الإِسْلامِيَّةِ . وَهُوَ فَوْقَ ذَلِكَ مِنْطَقَةٌ مِهِمَّةٌ لِلنُّفُوذِ الْفَارِسِي الْبَغِيضِ .

وَهَكَذَا أَدْرَكَ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ كَمَا أَدْرَكَ قَبْلَهم رَسُولُ اللهِ (ﷺ) أَهَمِيَّةَ السَّيْطَرَةِ عَلَى الْعِرَاقِ . حَتَّى يَأْمَنَ شِمَالُ الْجَزِيرَةِ شُرُورَ الأَعْدَاءِ وَمُؤَامَرَاتِهِمْ .

فَأَرَادَ ـ أَبُو بَكْرٍ ـ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) أَنْ يوقِفَ الْفُرْسَ وَأَتْبَاعَهُمْ فِي الْعِرَاقِ عِنْدَ حَدِّهِمْ . وَيَرُدَّ مُؤَامَرَاتِهِم وَمَكَائِدَهمْ إِلَى نُحورِهِمْ . وَيوقِعَ الْقِصاصَ بِالْمُسْتَبِدِّينَ الْفُرْسِ الَّذينَ مَا زَالُوا يُمَارِسُونَ الْكَثِيرَ مِنَ الضُّغُوطِ عَلَى هَذِهِ الدَّوْلَةِ الْفَتِيَّةِ . وَيُحَرِّضُونَ الْقَبائِلَ الْعَرَبِيَّةَ الْخَارِجَةَ عَن الْقَانُونِ عَلَى الْعِصْيَانِ وَالتَّمَرُّدِ . وَإِيْواء الْفَارِّينَ مِنْهُمْ فِي بِلادِهِمْ . وَبَثُّ الْفِتَنِ وَالاضْطِرَابِ فِي نُفوسِ الْعَرَبِ .

لِذَلِكَ كَانَ قِتَالُهُم وَاجِباً . وَتَقْوِيضُ امْبِرَاطُورِيَّتِهِمْ أَمْراً تُحَتِّمُهُ ضَرُورَاتُ حِمَايَةِ أَمْنِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَاسْتِقْرَارِهَا . وَهَذَا مَا فَعَلَهُ الْقُوَّادُ الْمُسْلِمُونَ الأَبْرَارُ بِتَوْجِيهٍ مِنَ النَّبِيِّ (ﷺ) وَمِنْ بَعْدِهِ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ

رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ جَمِيعاً .

وَبَعْدُ ... فِي خِتَامِ حَدِيثِنَا عَنْ مَعْرَكَةِ « ذَاتِ السَّلاسِلِ » وَمَا تَبِعَهَا مِنْ مَعَارِكَ وَمَوَاقِعَ عَدِيدَةٍ كَانَ النَّصْرُ فِيهَا مَعْقُوداً لِوَاؤُهُ لِلْمُسْلِمِينَ . يَهُمُّنَا أَنْ تَعْرِفَ - عَزِيزِي الْقَارِئَ - نُبْذَةً عَنْ بَطَلٍ مِنْ أَبْطَالِنَا الْبَرَرَةِ قَادَ حُرُوبَ الْمُسْلِمِينَ ضِدَّ الْفُرْسِ ، وَقَضَى عَلَى هَيْبَةِ الْفَارِسِيَّةِ ..

إِنَّهُ « الْمُثَنَّى بْنُ حَارِثَةَ الشَّيْبَانِي » .

فَمِنْ عَجِيبِ أَمْرِ هَذَا الْقَائِدِ الشُّجَاعِ ، أَنَّهُ كَانَ - قَبْلَ إِسْلامِهِ - عَوْناً لِلدَّوْلَةِ الْفَارِسِيَّةِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ . وَأَنَّهُ الْتَزَمَ بِوَفَائِهِ لَهَا ، حَتَّى فَتَحَ اللهُ قَلْبَهُ لِلإِسْلامِ ، فَدَخَلَ فِي رِحَابِهِ طَائِعاً رَاضِياً ، فَغَدَا مِنْ أَلَدِّ أَعْدَاءِ دَوْلَةِ الْفُرْسِ ، يَقِفُ بِجَيْشِهِ كَالْجِدَارِ الصُّلْبِ فِي وَجْهِ مَطَامِعِهَا ، مُزَلْزِلاً عَرْشَهَا ، وَيَقُضُّ مَضَاجِعَ أَبَاطِرَتِهَا بِمَعَارِكَ كَانَتْ وَمَا تَزَالُ مَفْخَرَةَ انْتِصَارَاتِنَا عَلَى أَعْدَائِنَا عَبْرَ الْعُصُورِ .

نَشَأَ فِي قَبِيلَةِ « شَيْبَانَ » الَّتِي عُرِفَتْ بِقُوَّتِهَا وَبِفُرْسَانِهَا

اَلشُّجْعَانِ الْأَبْطَالِ ، الَّذِينَ أَخَذَ عَنْهُمْ « الْمُثَنَّى » الصِّدْقَ ، وَالْقُوَّةَ ، وَالصَّبْرَ ، وَالْجَلَدَ ، وَالشَّجَاعَةَ وَالإِقْدَامَ ، وَالتَّفَنُّنَ فِي أَنْوَاعِ الْفُرُوسِيَّةِ .

وَكَانَ ضِمْنَ وَفْدِ بَنِي « شَيْبَان » الَّذِي جَادَلَ رَسُولَ اللهِ (ﷺ) عِنْدَمَا أَتَاهُمْ لِيَعْرِضَ عَلَيْهِم الدُّخُولَ فِي الإِسْلَامِ ، وَقَدْ أُعْجِبَ الرَّسُولُ (ﷺ) بِشَخْصِيَّةِ (الْمُثَنَّى) وَبِعِلْمِهِ وَثَقَافَتِهِ وَتَجَارِبِهِ وَقُوَّةِ شَكِيمَتِهِ .

دَخَلَ الإِسْلَامَ مَعْ قَبِيلَتِهِ ، فَكَانَ عَوْناً له عَلَى أَعْدَائِهِ ، وَخَاضَ مِنَ الْمَعَارِكِ مِمَّنْ تَضِيقُ الصَّفَحَاتُ عَنْ ذِكْرِهَا وَذِكْرِ آثَارِهَا الْكَرِيمَةِ عَلَى الإِسْلَامِ وَتَثْبِيتِ دَعَائِمِهِ خَاصَّةً فِي الْعِرَاقِ ، الَّذِي تَوَلَّى أَمْرَهُ رَدْحاً مِنَ الزَّمَنِ قَبْلَ أَنْ يُوَافِيهِ أَجَلُهُ وَهُوَ رَاقِدٌ فَوْقَ سَرِيرِهِ دَاخِلَ بَيْتِهِ فِي (شِرَاف) .

دار المسيرة

للصحافة والطباعة والنشر

هاتف : ٣١١٣٥٠ ـ بناية ريفييرا سنتر ـ كورنيش المزرعة

سجل تجاري : ٣٣٩٠٨ ـ ص. ب ١٤٥٢٩٩ ـ برقياً : ناصيرات ـ بيروت



هذه السلسلة

هذه السلسلة من انتصارات العرب ، محاولة جديدة من ضمن المحاولات الخيّرة التي سبقنا اليها ، آملين أن تساهم في تقويم النشء العربي وتوجيهه على أساس من الأخلاق والمثل الفاضلة، التي وضعها ديننا الحنيف لأبنائه ، وجسّمها الرسول الكريم نماذج حيّة بين البشر في أفعاله وأقواله .

فمن أحسن قدوة تقتدى ؟ ومن أهدى دليل يتبع غيره ؟

فسيرته صور من الكمال والرفعة والإشراق ينبغي أن يلقنها الأبناء بأسلوب مبسط سهل بعيد عن التعقيد ، قريب من الفهم يستهويهم ويستميلهم للقراءة ، وهذا ما حاولنا القيام به والله المعين .

الناشر

دار المسيرة
بيروت

